# تيبريوس جراكوس
# المصلح الاجتماعي الروماني
# ماله و ما عليه

دكتورة / غادة محمد علي الفرجاني
مدرس التاريخ اليوناني الروماني

فى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد واجهت روما سلسلة من المشاكل الخطيرة التى كان يجب معالجتها لوضع الأمور فى نصابها ذلك أنه بعد أن أصبحت مدينة روما دولة كبيرة الإتساع كان يجب تطوير النظم الرومانية لتستطيع الدولة الرومانية مواجهة الإلتزامات المتزايدة المترتبة على هذا الاتساع ، كما أنه كان يتعين حل المشاكل السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي أصبحت تهدد كيان النظام الجمهورى .

شهدت تلك الفترة ظهور الكثير من الشخصيات العامة التى حملت على عاتقها حل المشكلات الإجتماعية والإقتصادية وبالتالى السياسية ومن أشهرهم المصلح الاجتماعى تيبريوس جراكوس [1] .

فمن هو ؟؟ وكيف وصل إلى منصب نقيب العامة ؟؟ وما هو قانونه الذي خلد ذكراه ؟؟ وكيف أن هذا القانون وإصراره على صدوره كان نهاية محزنة لحياته ؟

هذا ما تجيب عليه الصفحات التالية .

---

1) The Oxford Classical Dictionary ( O.C.D.) . Printed in Oxford University Press in London , 1992 , P. 291 .

إبراهيم نصحى . تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام ١٣٣ ق . م جزءان . الطبعة الثانية . الناشر – مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٩٨ . جـ٢ ، ص ١٨ .

سيد أحمد على الناصرى . تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية وحتى سقوط الجمهورية . الناشر مكتبة النهضة العربية . القاهرة . طبعة ١٩٧٦ . ص ٢٠٩.

## ظهور تيبريوس[1] جراكوس على مسرح الأحداث :

وسط ظروف روما السابقة ظهر مصلح شاب يدعى تيبريوس سمبرونيوس جراكوس ( Tiberius Sempronius Gracchus ) في الثلاثين من عمره حيث كان أحد ترابنة[2] العامة العشرة الذين إنتخبوا لعام ١٣٣ ق.م. وتقلدوا مهام مناصبهم في العاشر من ديسمبر عام ١٣٤ ق.م.

---

١ ) ولد تيبريوس فى عام (١٦٣ق. م ) من أسرة عريقة لها كيانها فى المجتمع الرومانى حيث أن أبيه تولى القنصلية فى عامى (١٧٧ و ١٦٣ ) ق . م . وكذلك عدد من الوظائف العامة والهامة ،كما أن والدته هي كورنيليا إبنة سكيبيو قاهر إفريقيا وكانت امرأة ذكية ومثقفة ومتعلمة عكفت على تربية أبناءها أصول الحضارة الهيللينية التي كان ينادي بها والدها ، وقد أنجبت عددا من الأبناء وصلوا إلى إثنى عشر إبنا لم يعش لها سوى ثلاث تيبريوس وأخيه جايوس وأختهم سمبرونيا زوجة سكيبيو إيميليانوس وكانت هذه المرأة الدافع لأولادها لدخول مجال الوظائف العامة ومجال العمل السياسى والإجتماعى .

Cf.O.C.D .P. 291

٢ ) التربونية : هي وظيفة عامة إستحدثت فى أثناء الصراع الطبقى بين الأشراف والعامة فى المرحلة الأولى من الصراع وبالتحديد فى عام ٤٩٤ ق . م وقد وافق السناتو على إنتخاب نقيبين للعامة ( Tribuni ) يعادلان منزلة القنصليين ويتمتعان بسلطات قوية مثل حق الإعتراض ( Intercession ) وحق التشريع وسن القوانين ( ragatio) وحق منح المساعدة ( Auxillium ) وحق الحصانة البدنية ( Sacro Sanctitas ) من أجل حماية العامة وفيما بعد كان من حقهم حضور جلسات السناتو ودعوته إلى الإنعقاد للتشاور معه قبل إتخاذ قراراتهم وبذلك تحول إنتباه العامة من قادة معارضة هدفهم الإعتراض والإعاقة إلى الرقابة الإدارية والتشريعية . (راجع - Livy , 4 , 1 – 8 & )

Cf. , Adcock ( F.E.) Consular Tirbunes & Their Successors (J.R.S.) 47 ( 1975) , PP. 9 – 14 .,

من الملاحظ أنه زيد عدد ترابنة نقباء العامة ، فيما بعد من إثنين إلى عشرة .

سيد الناصري . المرجع السابق (٢) ص ٧٣ .

وجدير بالذكر أن تيبريوس جراكوس حينما بلغ السادسة والعشرين من عمره أى فى عام (١٣٧) ق . م تولى أول وظيفة عامة وهي وظيفة الكوايستورية [١]*.

وقد كلف بتولي مهام تلك الوظيفة فى أسبانيا مع القنصل هوستيليوس مانكيتوس ( Hostilius Mancinus ) وهو من تولى قيادة حملة ذلك العام ضد نومانتيا ** وكان هذا حدثا هاما فى حياته حيث أنه:

١- أولا : أثناء رحلته برا إلى أسبانيا واجتيازه إقليم أتروريا *** وفي طريقه إلي نومانتيا ( Numantia ) لاحظ الضياع والحرمان الكامل من الحقوق المدنية لصغار الفلاحين في

---

١) إبراهيم نصحى . المرجع السابق . جـ ٢ . ص ١٩ .

* ) كانت الكوايستورية أولى درجات الوظائف العامة وهى وظيفة نشأت فى عهد الجمهورية وكان عدد شاغليها إثنين ثم زيد إلى أربع بعد فتح هذا المنصب أمام العامة وكان المرشحون ينتخبون من قبل الجمعية القبلية وذلك طبقا لنصوص الألواح الإثنتى عشر وكانت الكوايسترية فى الأصل وظيفة قضائية ولكن فيما بعد إختصت تلك الوظيفة بالشئون المالية وشئون الخزانة فكان إثنان منهما يبعثان فى المدينة للإشراف على الخزانة العامة وحفظ الوثائق السياسية الهامة . والإثنان الآخران كانا يساعدان القنصليين فى ميدان القتال والإشراف على نفقات الجيش والإشراف على الشئون المالية للولايات وزاد عددهم حتى أصبحوا عشرين شخصا فى عهد سولا أما فى عهد قيصر زاد العدد إلى أربعين شخصا وخفضهم أغسطس مرة أخرى إلى عشرين شخصا . وكانت كلمة كوايستر( Qaestor ) تعني باللاتينية الباحث ، طبقا لقانون ( Lex Villia Annalis ) وكان صدوره فى عام ١٨٠ ق. م وكان يشترط أن يكون سن المرشح لا يقل عن ٢٨ عاما ويقضى عامان فى هذه الوظيفة قبل الترقى للوظيفة الأعلى .( انظر ) cf., Plutarch , cato

- سيد أحمد على الناصرى . المرجع السابق . ص ١٠٥ .

** ) نومانتيا : موقع إستراتيجي على مرتفعات دوريس ( Durius ) أو ( Douro ) فى أسبانيا وقام أهلها بكثير من ثورات التمرد والعصيان ضد الرومان O.C.D. 741

*** ) إقليم أتروريا : هو سهل إتروريا فى شمال إيطاليا ( Etraria ) ، سيد الناصرى ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

ذلك الإقليم ، فكانت أرض الضياع الكبيرة تفلح بواسطة العبيد [1] وشاهد مدى اتساع نطاق الضياع الكبيرة ومدى استخدامها للعبيد ومدى افتقار الريف الإيطالي إلى أحرار المزارعين . وكان هذا حافزا له لإصدار قانون الإصلاح الزراعى لإصلاح هذه الأوضاع .

٢- ثانيا : بعد وصوله إلى أسبانيا لاحظ تدهور التماسك الروماني واكتشف أن سبب ذلك يرجع إلي انخفاض أعداد صغار الملاك [2] وقد أنقذ جيش مانكينوس من كارثة محققة ذلك أن الأسبان حاصروا القوات الرومانية قرب نومانتيا حصارا شديدا وتولي تيبريوس عقد مفاوضات معهم.

وهكذا عقد الصلح وكان السبب فى هذا سمعة والده [3] الذي تمتع بمكانة كبيرة بين الأسبان بسبب ما عاهدوه فيه نزاهة وصدق ، وقد صار تيبريوس علي نفس درب أبيه . لهذا فإنهم رفعوا الحصار وأخلوا سبيل الجيش الرومانى بعد أن وعدهم تيبريوس بإحترام شروط معاهدة الصلح [4]

ولقد توجه تيبريوس إلى القضاة النومانتيين وطلب منهم أن يحضروا له أوراقه ذلك بأنه لم يسمح بأن يعطي لأعدائه الفرصة لكي لا يضغطوا عليه لعدم قدرته لإعطائهم أى تفاصيل عن إدارته ، وفقا لذلك فقد إبتهج النومانتيين بمنح تيبريوس فرصة ودعوته لدخول المدينة ، وحينما كان واقفا متأملا فى الأمر فقد اقتربوا منه كصديق ، وقرر التريبون أن يعاملهم هكذا لسببين :

---

1 ) Cary (M) & Scullard (H.H.) , A History of Rome , 3rd edition Published by Macmillan Education LTD , London , 1987 , P. 204 .

2 ) Cary (M) & Scullard (H.H.) Loc. Cit.

٣) لقد كان والده - تيبريوس سمبرونيوس جراكوس - رجلا له تاريخ فى السياسة فقد كان قنصلا أحرز إنتصارين عسكريين إبان فتح أسبانيا استحق عليهما إقامة قوسين نصر ، كما تولي منصب الرقيب عام ١٦٩ ق . م وكان صارما فى رقابته على الأخلاق والسلوك العام مثل كاتو الأكبر . ولكنه كان ينحاز للفقراء والضعفاء ضد الأغنياء والإقطاعيين ، لهذا كان محبوبا من الأسبان حيث قام بإصلاحات اجتماعية ، ونظم توزيع الأراضى .
( راجع : سيد الناصرى المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ) .

٤ ) إبراهيم نصحى . المرجع السابق . ص ٢٠٩ .

(أ) الحصول على أوراقه الخاصة بالكوايستورية.

(ب) خشية غضب النومانتيين إذا أظهر عدم الثقة فيهم.

وعرضوا عليه الأوراق وأى شئ يريده فلم يأخذ غير البخور التى يستخدمها فى القرابين العامة ثم رحل واعدا إياهم بكل معانى الصداقة [1].

## موقف تيبريوس من السناتو :

لقد آثار تصرف تيبريوس بتلك المعاهدة السناتو ضده ، وكان مانكيتوس هو كبش الفداء الذي سلم للأسبان ، وكان هذا الموقف بداية الخلاف بين السناتو وتيبريوس ومن المتوقع معاملة سيئة لكل ما يتبناه تيبريوس من أفكار من جانب السناتو [2].

وفى عام ١٣٣ ق . م . ومن خلال حصول تيبريوس على منصب نقيب العامة * أخذ يهاجم الأشراف والإقطاعيين ويتقدم بمشروعه الشهير الخاص بالمطالبة بتطبيق قانون

---

1 ) Plut , T. Gracchus , VI .

2 ) Plut , T. Grachus , VII .

* ) لقد ساعد تاريخ أسرة تيبريوس العريق ( تلك الأسرة التي اشتهرت بمكانتها الكبيرة فى المجتمع الروماني حيث ولى جده لأبيه القنصلية فى عام ٢١٥ق . م . وجده لأمه سكيبيو أفريكانوس قاهر هانيبال فى واقعة زاما ( عام ٢٠٢ ق . م ) وتولي أبوه القنصلية فى عامى ( ١٧٧ و ١٦٣ ) ق . م والكنسورية فى عام ( ١٦٩ ق. م ) ) علي دخوله إلى مجال العمل السياسي بالإضافة إلى مكانته بين الشعب الرومانى وما حدث معه فى نومانتيا الذى رفع من شأنه وأضاف إليه والى شخصه لهذا لم يجد صعوبة فى الوصول إلى منصب نقيب العامة الذي كان من الوظائف العامة Plut , T. Gracchus , VII

ليكينيوس ، وسكستيوس [1] القديم والذي يحدد الملكية الزراعية للفرد الواحد .

مشروع قانون تيبريوس للإصلاح الزراعي للأراضي :

إن من الأسباب التى أدت إلى استصدار قانون الإصلاح الزراعى ، أن الأراضي التى فاز بها الرومانيون فى حروبهم من الإقاليم التي فتحوها أثناء انتصارهم على جيرانهم قد تم بيعها ، وجزء تم استغلاله كأرض عامة ، خصصت ليعمل بها الفقراء والمحتاجين من المواطنين فى مقابل دفع إيجار صغير للخزينة العامة . وعندما بدأ الأغنياء اقتراح أجور أكبر وطرد الفقراء من الأرض [2] ، ومن الأسباب التي فرضت نفسها بالقوة والمخاطر التي نجمت عن العصيان المسلح لصغار الملاك في صقلية ( Sicily ) حيث قام العبيد في ١٣٥ بعمل فوضوي ضد كبار الملاك اليونانيين والرومانيين ، ولكل الأسباب السابقة وفيما حدث معه في إقليم أتروريا وفي إسبانيا كما سبق وذكرنا كل تلك الأسباب مجتمعة جعلت من تيبريوس مصلحا زراعيا وسياسيا ثوريا وذلك لأنه رأي ضرورة مقاومة تلك

---

١ ) يرجع هذا القانون إلى عام ٣٦٧ ق . م وقد استصدره آنذاك تريبونى العامة ليكينيوس وسكتيوس والسبب فى إصداره ما كان يفعله الأشراف من فوزهم بنصيب الأسد فى وضع الأراضى الصالحة للزراعة والفائضة عن الحاجة كذلك أراضى المراعى والغابات تحت أيديهم مع إحتفاظ الدولة بالملكية لتلك الأراضى وقد ضاق العامة بتصرفات الأشراف لهذا أصدر تريبوني العامة السابق ذكرهما هذا القانون والذي يقضى بألا يكون فى حيازة أى مواطن ( Possessor ) فى المستقبل أرض عامة تزيد عن ٥٠٠ يوجرا سلطاني (حوالى ٣٠٠ فدان) ولا يمتلك أكثر من مائة (١٠٠) رأس من الماشية وخمسمائة (٥٠٠) رأس من الغنم .

* Cf., App. Bell . Civ. 1 , 8 , Liv. X, 13 , 4 . C.A.H. , Vll , PP. 538 ff .

ابراهيم نصحى المرجع السابق ، جـ٢ . ص ١٦ .

2 ) Plut . , T. Gracchus , VIII .

المساوئ بعنف ودفعته هذه الأسباب لسن وإصدار قانونه الجديد [١].

نص قانون الإصلاح الزراعى :

البند الأول : ألا يحتفظ أحد من الأرض العامة التى استولى عليها عن طريق الحيازة أكثر من ٥٠٠ آكر * مع السماح لكل ابن من أبنائه الثلاثة بحيازة نصف هذه المساحة، وتعويضا لأصحاب أرض الحيازة عما تسترده الدولة منهم اقترح المشروع ألا يطرد الحائز مستقبلا من أرضه وألا يدفع عنها إيجارا للدولة [٢].

وقد كان المشروع يتضمن فى صورته الأصلية نصا خاصا بدفع تعويض نظير الإصلاحات التى أدخلت على الأرض التى تستردها الدولة [٣].

البند الثانى : تسترد الدولة أرض الحيازة التى تزيد على الحد الوارد فى البند الأول وتقسمها إلى أنصبة صغيرة [٤]. وتقوم بتوزيعها على فقراء الرومان دون غيرهم [٥] بشرط ألا يبيعوها [٦].

---

1) Cary (M)& Scullard (H.H.) Op.Cit., P.204 .

* ) الآكر : مقياس للمساحة يساوى ٤٨٤٠ ياردة مربعة أو نحو أربعة آلاف متر مربع .

2) Plut ., Loc. Cit.,

3) Plut., T. Gracchus , IX., 2 .

٤) كان الرأى السائد بين الباحثين حتى عهد قريب هو ألا يزيد ما تحوزه اسرة واحدة على ١٠٠٠ آكر أى السماح لإبنين اثنين فقط بأن يحوز كل منهما ٢٥٠ آكر بالإضافة إلى ما يحوزه الأب ولكنه وفقا للإتجاه الذي ظهر مؤخرا يبدو أنه كان يسمح لثلاثة أبناء بأن يحوز كل منهم ٢٥٠ آكر .

App. , B.C. , I , 9 , 11 , E. Badian Historia , 1962 , P. 210, n . 52

5 ) E.Badian , Foreign Clientelae , 1958 , PP. 169 . ff .

مع ملاحظة أن بعض الباحثين ( e.g. Heit and , II , P. 269 ) يستخلصون من العبارات العامة التى أوردها أبيانوس .( App. B.C.I.10) أن التوزيع يشمل أيضا الحلفاء الإيطاليين .

6 ) App. , B. C. , I . 10 .

وقد رأى د./ إبراهيم نصحى أن هذا الحظر كان يستتبع عدم التصرف فى الأرض بالرهن أو بالهبة وإن كان لا يستتبع عدم توريثها ، ولا شك أن الهدف من منع التصرف فى ملكية الأرض الممنوحة كان تفادى تكرار الحالة القائمة [١] .

كما أنه لم يكن من المعلوم عندئذ سواء مساحة الأرض التى تستردها الدولة أما عدد المواطنين الذين ستوزع عليهم ، لأنه يبدو أن المشروع لم ينص على مساحة ما سيمنح لكل مواطن وأنه ترك تقدير هذه المساحة للجنة القائمة على تنفيذ المشروع . واستنادا إلى نص القانون الذي صدر فيما بعد فى عام ١١١ ق . م فإنه من المحتمل أن تكون اللجنة قد حددت هذه المساحة بثلاثين آكر [٢] .

البند الثالث : أن تنتخب لجنة ثلاثية ( Tres viriagris iudicandis adsigrandis ) لتحدد الأراضى الواجب استردادها وتتولى توزيعها على المستحقين [٣] ، كذلك لفت تيبريوس الأنظار إلى الإقطاعيات فى صقلية التى أقامها البعض من أراضى الدولة العامة ، واستولوا عليها بحق وضع اليد وقد كان يري أن تؤجر هذه الأراضى إلى فقراء الفلاحين أو إلى ذوى الملكيات المحدودة [٤] .

---

١ ) إبراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

2 ) C.A.H., 1 X , P. 23 , Scullard ( H.H.) From the Gracchi To Nero , 3rd ed. London. 1970 , P. 27 & n.g.P. 388 .

3 ) App. , B.C., I. 10 .

٤) سيد الناصرى : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

وقد كان طبيعيا أن يعارض رجال السناتو هذا المشروع مثلما عارضوه من قبل ولكن تيبريوس بأسلوبه الخطابى البالغ التأثير ألقى عددا من الخطب النارية مصورا الأسى الإنسانى الذي شاهده أثناء عودته من أسبانيا مارا بإقليم إتروريا ، مبينا كيف أن الرجال الذين خاضوا المعارك من أجل روما هم الفلاحون الصغار الذين هجروا الريف بسبب قيام وجود الإقطاعيات الجديدة .(١)

ومن تلك الخطب التى سجلها لنا بلوتارخوس قول تيبريوس فى إحدى خطبه الشهيرة التى قدم للمشروع بها ( أن للذئاب والدببة كهوفا وأماكن يأوون إليها وينامون فيها أما الرجال الذين يحملون السلاح ويعرضون حياتهم للخطر دفاعا عن الوطن ليس لديهم شئ سوى الهواء وأشعة الشمس وعليهم أن يتنقلوا من مكان لآخر بزوجاتهم وأطفالهم لأنهم لا يجدون مكانا يريحون فيه رؤوسهم) (٢) .

ثم يقول تيبريوس : أن جنرالاتنا يحثون هؤلاء الرجال على الدوام للقتال من أجل الحما ومن أجل محراب الأسرة ومدفنها بينما لا يملك معظم هؤلاء الرجال الشجعان لاحما ولا محاريب ولا مقابر لأسرهم .. أنكم تقاتلون وتموتون من أجل ثراء ورفاهية الآخرين .. أنهم يسمونكم بسادة العالم بينما أنتم فى الحقيقة

---

١) سيد الناصرى : نفسه .

2) Plutarchus , T. Gracchus ., IX, 4-5

ὡς τὰ μὲν θηρία τὰ τὴν Ἰταλίαν νεμόμενα καὶ φωλεὸν ἔχει καὶ κοιταῖόν ἐστιν αὐτῶν ἑκάστῳ καὶ καταδύσεις,[1] τοῖς δὲ ὑπὲρ τῆς Ἰταλίας μαχομένοις καὶ ἀποθνήσκουσιν ἀέρος καὶ φωτός, ἄλλου δὲ οὐδενὸς μέτεστιν, ἀλλ' ἄοικοι καὶ ἀνίδρυτοι μετὰ τέκνων πλανῶνται καὶ γυναικῶν,

لا تملكون حتى موضع قدم تدعون ملكيته [1].

وبرغم أن مشروع الإصلاح الزراعى الذى تبناه تيبريوس كان مشروعا قديما إلا أنه كان مصاغ فى صورة أكثر أعتدالا من مشروع عام ٣٦٧ ق . م كما اشترك فى صياغته عدد من أعضاء السناتو الذين كانوا يميلون إلى الإصلاح الاجتماعي منهم أبيوس كلاوديوس * صهر تيبريوس وزعيم السناتو واثنان من فقهاء القانون الرومانى منهم ليكنيوس كراسوس ** ( Licinius Crassus ) وموكيوس سكايفولا *** ( Mucius Sacevola ) قنصل عام ١٣٣ ق. م [2].

---

1) lutarchus , T. Gracchus ., IX . 4 .

ἱερῶν ἀμύνεσθαι τοὺς πολεμίους· οὐδενὶ γάρ ἐστιν οὐ βωμὸς πατρῷος, οὐκ ἠρίον προγονικὸν τῶν τοσούτων Ῥωμαίων, ἀλλ' ὑπὲρ ἀλλοτρίας τρυφῆς καὶ πλούτου πολεμοῦσι καὶ ἀποθνήσκουσι, κύριοι τῆς οἰκουμένης εἶναι λεγόμενοι, μίαν δὲ βῶλον ἰδίαν οὐκ ἔχοντες.

* ) أبيوس كلاوديوس : هو أقدم عضو في السناتو ، وصاحب الأولوية في التصويت عند الاقتراع علي أي مشروع ( rogatio ) وكان قد تولي القنصلية عام ١٤٣ ق . م .

** ) ليكينوس كراسوس : المحامي الذي تولي القنصلية بعد ذلك فى عام ١٣١ ق.م. وهو حموجايوس جراكوس الذي تزوج ابنته لكينيا (Licinia ) وهو شقيق سكايفولا .

*** ) موكيوس سكايفولا : أول من اشتهر بالفقه بالقانون بين أفراد أسرته وأحد قنصلي عام ١٣٣ ق . م .

2 ) Plut. T. Gracchus , IX, I .

آراء المؤرخين حول مشروع قانون تيبريوس :

من آراء المؤرخين القدماء المؤرخ بلوتارخوس الذى كان يرى أن المشروع الأصلى قضى بدفع تعويض عن الإصلاحات التى أدخلت على الأرض التى تستردها الدولة لزيادتها على الحد الأقصى المسموح به (١).

ويذكر المؤرخ ليفيوس أنه بمقتضي تشريع تال خولت اللجنة سلطة قضائية للفصل فيما ينشأ عن منازعات حول ملكية الأرض التي تقع تحت طائلة قانون الأراضي (٢).

أما شيشرون فيرى أن السلطة التي اقترح المشروع تخويلها لأعضاء اللجنة الثلاثية لم تكن واضحة ومن الممكن إساءة استخدامها ، وبالأخص حينما ذاع أن النية كانت مبيتة على جعلها شبه أسرية بترشيح تيبريوس وأخيه جايوس وحميه أبيوس كلاوديوس لعضويتها . ولا زال يستطرد شيشرون أن إشتراك تيبريوس فى عضوية هذه اللجنة كان مخالفا لما يقضي به القانون حيث أنه لا يحق لمن يقترح تشكيل لجنة أن يكون عضوا بها (٣).

ويذهب كذلك المؤرخ أبيانوس إلى أنه كان يتعين اختيار أعضاء جدد للجنة فى كل عام ، بيد أنه لما كان هذا لا يتفق مع ما هو معروف من أنه لم يطرأ أى تغيير على

---

1 ) Plut. T. Gracchus , IX, 2 .

καὶ δοκεῖ νόμος εἰς ἀδικίαν καὶ πλεονεξίαν τοσαύτην μηδέποτε πραότερος γραφῆναι καὶ μαλακώτερος

2 ) Liv., Epit , 58

3 ) Cic., de lege . agr., II. 8.21

أعضاء اللجنة إلا عند وفاة أحدهم ، وربما أساء أبيانوس التعبير عن وضع كانت بمقتضاه عضوية اللجنة سنوية مع جواز إعادة إنتخاب أعضائها [١] .

كما يذكر المؤرخ إبيانوس أن من حق اللاتين والحلفاء الإيطاليين الإستفادة من قانون الإصلاح الزراعى فى الأراضى الواقعة فى حيازتهم وقد ساعدهم فى هذا الأمر سكيبيو إيمليانوس قاهر قرطاجة والذي عرض وجهة نظرهم أمام السناتو فوافق على ذلك و نجح فى نقل السلطة القضائية للبت فى المشاكل بالنسبة للحلفاء الإيطاليين من اللجنة الثلاثية إلى القنصلين مما أخر مهمة اللجنة بسبب تغيب القنصليين معظم الوقت خارج البلاد [٢] .

ويخلص المؤرخ سكالارد وكاري في كتابهما إلي أن قانون تيبريوس الخاص بالأراضي الزراعية كان مثالا للحلول الوسط التي قد تعرضه للخطر ، وقد سلك تيبريوس لنفسه مسلكا غير مسبوق وأصبح يتمتع بتأييد المواطنين المحرومين من امتلاك الأرض [٣] .

وكان من رأي المؤرخ ميشيل جرانت أن إصلاحات آل جراكوس ( قوانينهم للإصلاح الزراعي ) منحت طبقة الفرسان الذين لم يكونوا من أعضاء السناتو تماسكا ووعيا كبيرا حيث كانت طبقتهم في إزدياد مستمر . ولقد هزت تلك الأحداث المجتمع الروماني وسياسته واقتصاده هزا عنيفا وفتحت المجال للحزبية [٤] .

---

1) App., B.C.I. 9 .

2) App. B.C.I. 19 , 2 .

3) Cary (M) & Scullard (H.H.) Op. Cit. , P. 205 .

4) Grant (M)The world of Rome Press in Published Phonex . London , 2000 . P.23 .

ويري الأستاذ الدكتور / إبراهيم نصحى أن مشروع هذا القانون أكثر سخاء من القانونيين القديمين [١] وأن مشروع قانون تيبريوس كان محاولة معتدلة نزيهة بعيدة عن التعسف وعن الحزبية ولا يريد إلا إصلاح الأحوال السيئة [٢].

وبرغم أن مشروع قانون تيبريوس أثار معارضة الرأسماليين الزراعيين من رومان وحلفاء فإنه حاز إعجاب فئات كثيرة من فقراء المواطنين وكذلك صغار المزارعين سواء من روما أو خارجها وقد كانوا يرجوا إصلاح أحوالهم بإقرار هذا المشروع وأن يصبحوا أرباب ملكيات صغيرة [٣].

ويذكر د./ عبداللطيف أحمد على نقلا عن المؤرخ أريانوس أن هذا القانون كان لتمكين العامة من بلوغ النصاب (العيني أو النقدي) المؤهل للخدمة العسكرية [٤].

وقد ذكر د/ عبداللطيف أحمد على أن مشروع هذا القانون لم يتناول الأراضي الخاصة ( ager Privatus ) بل اقتصر على الأراضي العامة ( ager Publicus ) مما ينهض دليلا علي أنه لم يكن ثوريا أو متطرفا بل كان متسما بالإعتدال ، وكان يهدف إلي تحديد ما يحوز أن يبقي من الأراضي العامة في حيازة فرد واحد ، وأن تسترد الدولة أراضيها من أيدي الملاك غير الشرعيين لها ، كما استطرد

---

١ ) قانون لوكيوس سكيتوس ( Lucicus Sexitu ) وقد كان تريبونا للعامة فى عام ٣٦٧ ق. م ، والقانون الثانى هو قانون فيلليا أناليس ( Lex Villia Annalis ) والذي صدر فى عام ١٨٠ ق. م بأنه سمح لاثنين من الجائز لثلاثة من أبناء أرباب أرض الحيازة بأن يحتفظ كل منهم أيضا بنصف ما يحتفظ به الأب واعتبر الأرض العامة الباقية فى حوزة الأب وابناءه ملكا خاصا لهم لا تستردها الدولة فى المستقبل ولا تأخذ عنها إيجارا منهم. ( انظر Cf., App. B.C.I. 20 )

٢ ) إبراهيم نصحى . المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣ .

٣ ) إبراهيم نصحى . المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٢ .

٤ ) عبداللطيف أحمد على ، التاريخ الروماني (عصر الثورة ) من تيبريوس جراكوس إلى إكتافيانوس أغسطس . طبعة منقحة . الناشر دار النهضة العربية . القاهرة ١٩٨٨ . ص ٢ . حاشية ١ .

د / عبداللطيف بقوله أن المشروع بعد تصديق الجمعية القبلية عليه صار قانونا واجب النفاذ ، وقد سلم رجال السناتو بشرعية القانون بعد صدوره وان كانوا قد سعوا إلي عرقلة أعمال لجنة الإصلاح الزراعي في بادئ الأمر [١].

بينما يري الأستاذ الدكتور / سيد الناصرى أن مشروع هذا القانون كان تقليدا كريما مع ملاك الإقطاعيات عن طريق الوسائل غير الشرعية ، مصاغا من أجل الصالح العام ولإنقاذ الدولة من خطر البطالة ، ومن أجل إعادة تعمير الريف المهجور حتى يمكن تجنيد أبناء الفلاحين للخدمة فى جيش الدولة [٢].

موقف السناتو من مشروع القانون وتحدي تيبريوس له :

كان تيبريوس يتوقع اعتراض السناتو على تقديم مشروعه لذلك فإنه قام بتقديم مشروعه إلى الجمعية الشعبية دون استشارة السناتو [٣] . ورغم هذا فإن تصرف تيبريوس هذا لم يكن غير دستوري لأن قانون هورتينسيوس كان قد حرر جمعية القبائل من كل قيد على حريتها التشريعية [٤].

باتجاه تيبريوس إلى الجمعية القبلية لإصدار القانون فقد أصبح هناك ثنائية فى التشريع فى روما فكان باستطاعة السناتو أن يشرع لصالح الأشراف كما كان فى استطاعة الجمعية القبلية أن تشرع لصالح (العامة) والطبقة الشعبية وبالتالى كانت التشريعات متعارضة ومتناقضة فيما بين هاتين الهيئتين .

---

١ ) عبداللطيف أحمد علي . المرجع السابق ، ص ص ٥ – ٩ .

٢ ) سيد الناصرى ، المرجع السابق . ص ٢١٣ .

٣ ) كانت هناك سابقة لتقديم مشروع تيبريوس هو مشروع جايوس فلامينيوس ( Gaius Flaminius) عندما قدمه فى عام ٢٣٢ ق . م أثناء شغله منصب نقيب العامة إلى السناتو فرفضه فقام بتقديمه إلى جمعية القبائل فأقرته ..
إبراهيم نصحي . المرجع السابق . جـ ٢ . ص ٢٦ .

٤ ) إبراهيم نصحي . المرجع السابق . جـ ٢ . ص ٢٧ .

وصارت هناك ازدواجية فى التشريعات فى روما [١] . لقد حاول السناتو أن يحول دون تحقيق أغراض تيبريوس برفضه المساعدات المالية الضئيلة لمندوبي الحكومة المفوضين مقابل ما يقومون به من توزيع حصص المستوطنين الجدد [٢] .

وكان رد فعل السناتو الذي أغفل رأيه فى تقديم هذا المشروع هو اللجوء إلى أحد الوسائل المألوفة فى عرقلة أى عمل لا يروق لأعضاء السناتو وهو تحريض أحد زملاء تيبريوس ، وهو تريبون العامة جنايوس أوكتافيوس كايكينا ( Gn. Octavius Caecina ) على استخدام حقه فى مصادره مشروع قانون تيبريوس فيما يعرف بحق الفيتو (حق الإعتراض) [٣] .

وكان استجابة أوكتافيوس على هذا مصادرة هذا المشروع الذي إستخدم تيبريوس حقه فى منع مباشرة جميع الأعمال الرسمية وإعادة عرض مشروعه فى الإجتماع التالى لجمعية القبائل بعد إدخال التعديلات التي لا تمس العناصر الأساسية فى المشروع كما ذكر بلوتارخوس [٤] .

ولقد ناهض أوكتافيوس هذا المشروع للمرة الثانية فى اجتماع جمعية القبائل فى اجتماعها التالى فما كان من تيبريوس إلا أن عاود عرض مشروعه للمرة الثالثة على جمعية القبائل وكان فى هذه المرة لا يعرض مشروعه فقط إنما طالب بعزل زميله أوكتافيوس باعتباره مناهضا لمصلحة الشعب ، مع أن انتخابه كان لصالح هذا الشعب ، ومراعاة حقوقه والدفاع عنها .

فما كان من جمعية القبائل إلا أن أبدت رأيها فى مسألة عزل أوكتافيوس واستمر أخذ الآراء إلى أن وافقت ثمانية عشر قبيلة على العزل فتم هذا العزل واستبدل أوكتافيوس بتريبون آخر للعامة هو كوينتوس ميموس ( Quintu's Memmius ) وبعد هذا وافقت الجمعية على مشروع تيبريوس ، فأصبح

---

١ ) مصطفى العبادى الإمبراطورية الرومانية ( النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية ) . الناشر . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ١٩٩٩ . ص ٤٠ .

2 ) Cary (M) & Scullard (H.H.) Op. Cit. , P. 205 .

٣ ) ابراهيم نصحي ، المرجع السابق . جـ٢ ، ص ٢٧ .

4 ) Plut., T.Gracchus , X

قانونا يعرف بقانون سمبرونيوس الخاص بالأراضي (Lex Sempronia agraria) [1].

وكان لتحدي تيبريوس فى إقرار هذا المشروع سابقتين خطيرتين هما:

١- إغفال (فيتو) تريبونية العامة.

٢- عزل زميله.

وبعد أن أصدر القانون الخاص بإعادة توزيع الأراضي الزراعية توزيعا عادلا فقد تم اختيار ثلاثة رجال لمسح وتوزيع الأراضي وهم:

تيبريوس نفسه وأبيوس كلاوديوس(حماه) وجايوس جراكيوس (أخيه) الذي لم يكن فى روما ولكنه كان يخدم تحت قيادة أسكيبيو فى حلمته ضد نومانتيا [2].

وتم تنفيذ هذه الإجراءات بواسطة تيبريوس بهدوء وبدون معارضة وبجانب ذلك فقد قاد انتخاب تريبونا جديدا، اما عن التريبون الجديد (ميوسيوس) فلم يكن رجل ذو حس و مقام رفيع ولا شهرة ولكنه جدير بالاعتماد عليه لكونه تابعا لتيبريوس ورجلا سهل الإنقياد. وبعد تعيين التريبون الجديد تم تمرير قانون الإصلاح الزراعي الذي عرضه تيبريوس [3] وهنا خشى الإرستقراطيين وتخوف رجال السناتو من زيادة نفوذ وقوة تيبريوس – لهذا إنتشرت الإهانات والشائعات ضد تيبريوس حتى أنه عندما طالب بمسكن عام على النفقة العامة وهو مسكن (شعبي) لإستخدامه عند تقسيم الأراضي فإنهم رفضوا طلبه، على الرغم من أن رجال آخرين حصلوا على مساكن لأغراض أقل أهمية وقد حددوا حصة يومية له للنفقات قيمتها ٩ أوبول*، وكانت هذه الأشياء من

---

1) App., B.C., 1, 12.

2) Plut., T. Gracchus, XIII.

3) Cary (M) & Scullard (H.H.) Op.Cit, P. 205.

* ) الأوبول قطعة نقد إغريقية تساو ٦/١ دراخمة.

إقتراح ناسيكا الذي ذكر المؤرخ بلوتارخوس أنه نسي بغضه لتيبريوس وكان سبب بغض ناسيكا هو أنه كان من أكبر ملاك الأرض العامة وأستاء بشدة لكونه أجبر على التخلي عنها [١].

قيام اللجنة المشرفة على توزيع الأراضي الزراعية بمهمتها والعوائق التي واجهتها:

ولقد منحت اللجنة المشرفة على توزيع الأراضي الزراعية سلطة هي سلطة الامبريوم القضائي وذلك لإعادة فحص الملكية الزراعية كلها وتبيان ما هو ملكية وراثية خاصة وما هو مسلوب من أراضي الدولة العامة ثم مصادرة الأراضي المسلوبة والزائدة عن الحد وتوزيعها على المعدمين وصغار الملاك ومن أجل البت فى المنازعات التي قد تنشأ حول أحقية الدولة فى ملكية بعض الأراضي المزروعة والتي يملكها الإقطاعيون [٢].

وقد بدأت اللجنة الزراعية في توزيع الحصص في أحياء كثيرة من إيطاليا وخاصة في الضواحي ووسط وجنوب الابنين ( Apennines ) [٣].

وقد تعرضت اللجنة لصعوبات كثيرة لعدم وجود دعم مالى يساعدها فى القيام بمهمتها مثل دفع أجور المساحين ونفقات التحرك والإنتقال ورواتب الموظفين المساعدين فضلا عما يحتاجه الملاك الجدد من مساعدات مالية للإستقرار فى الأرض الجديدة وبداية حياة الفلاحة ، ومدهم بالبذور والآلات والمواشي والإنفاق عليهم حتى دخول المحصول من أراضيهم الجديدة [٤].

وكان السناتو على يقين أن هذه اللجنة لن تستطيع القيام بعملها بدون السند المالى لها والذي يسيطر عليه السناتو لهذا حاول جاهدا تعطيل وتسويق الإعتمادات المالية حتى إنتهاء فترة تربونية تيبريوس حتى يقضى على هذا المشروع ولكن حدث ما لم

1 ) Plut., T. Gracchus , Loc. Cit.

٢) سيد الناصرى ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

3) Cary (M) & Scullard (H.H.) Op.Cit. , P. 205 .

٤ ) سيد الناصري . نفس المرجع والصفحة .

يتوقعه السناتو بدخول الخزانة الرومانية أموال جديدة من مملكة برجامون التي أوصى أتاللوس ملك برجام بأن تؤول مملكته وكنوزه إلى روما [1].

وكان هذا فألا حسنا علي تيبريوس والعامة لهذا قام تيبريوس في الحال بتقديم مشروع قانون لتمكين المواطنين من أخذ أنصبتهم من تلك الثروة وحذر من أنه سيتجاهل السناتو أن لم يساعده علي ذلك ، ولم يتقبل أعضاء السناتو ومن بينهم بعض أصدقاء تيبريوس ذلك التحدي المزدوج لسلطة السناتو المعترف بها فيما يخص المسائل المالية والشئون الخارجية ،ومع هذا فقد تمكن تيبريوس من الحصول علي الاعتمادات المالية لمستوطنيه [2]. الذين استلموا جزءا من الأرض العامة لكي تساعدهم فى تزويد مزارعهم بالمواشي وحرث مزارعهم ، وفيما يتعلق بالمدن التي كانت ضمن مملكة أتاللوس فقد قال إنها لا تنتمي إلى مجلس الشيوخ للتشاور بخصوصها وقد أحال تيبريوس القرار إلى الشعب [3].

---

١ ) حيث أن الملك أتاللوس الثالث ملك برجامون الأسيوية قد توفي في عام ١٣٣ ق.م وبموته كانت نهاية الأسرة الأتاليدية ( Attalid ) وكان قد أوصي بأن تؤول ثروته الطائلة للشعب الروماني وكذلك مملكته وذلك لعدم وجود وريث شرعي له يخلفه وأوصي بأن تقسم أملاكه علي المواطنين الرومانيين ، ويري الأستاذ سكالارد أن تيبريوس لابد وأن يكون قد علم قبل السناتو بأمر وصية أتاللوس نظرا للعلاقة القديمة بين أسرته وأسرة ملوك أتاللوس ويرجح أن رسول الملك الذي جاء يحمل الوصية ربما كان قد نزل ببيت تيبريوس جراكوس الصديق ( راجع ) :-

Cf., OGIS 338 , 438 ; Syll. 694 =

Lewis – Reinhold , Roman Civilization I (1951) PP.321 -323.

Scullard (H.H.) O.P. , PP.94 .

2 ) Cary (M) & Scullard (H.H.) Loc. Cit.

3 ) Plut., T. Gracchus , XIV .

ولكن هذا المطلب أظهر تيبريوس فى شكل الثائر المتمرد وليس بمظهر المصلح عن طريق التشريع ، وبدأوا فى تهديد تيبريوس بكل الوسائل بما فى ذلك حياته ذاتها [١] .

وقد زاد من غضب السناتو أن أعلن تيبريوس أنه سوف يرشح نفسه لمنصب تريبون العامة للمرة الثانية عام ١٣٣ ق . م لم يكن هذا الأمر يخالف الدستور الروماني ولكنه كان أمرا جديدا على السياسة الرومانية ، ولا يوجد له سابقة .

وبالتالى أخذ الرومان يطلقون الشائعات المغرضة بأنه يسعي لإعلان نفسه ملكا على البلاد وأنه يسعي لتأمين تاج وصولجان وأزياء الملك أتالوس الثالث لنفسه تمهيدا لهذا الغرض حيث يقال أن بومبوس والذي كان مجاورا لتيبريوس قد نهض وأعلن أنه يعرف أن ايديوميوس ببرجاميوم قد أعطى تيبريوس تاج ملكى وثوب ملكى اعتقادا منه أنه سيكون ملك روما [٢] .

أراد تيبريوس حماية مشروعه من البطلان أو الإلغاء وحماية نفسه من المحاكمة والإتهام بالتقصير أو الخيانة أو الموت أو الاعتداء لهذا عند إقتراب موعد الإنتخابات لوظيفة التربونية لعام ١٣٢ ق. م رشح تيبريوس نفسه لتولى هذه الوظيفة ثانية وذلك لحرصه على متابعة تنفيذ قانون الأراضى وحماية نفسه بعد إنتهاء مدة تربونيته وزوال حصانة هذه الوظيفة عنه ولكن كان النبلاء له بالمرصاد لخوفهم على مصالحهم الشخصية . وعمد خصوم تيبريوس إلى إطلاق الشائعات والأكاذيب وإلى استخدام القوة الغشوم للقضاء عليه وعلى دعوته [٣] .

---

١ ) سيد الناصري . المرجع السابق . ص ٢١٧ .

2 ) Plutarch . Loc. Cit .

3 ) Plutarch . T. Gracchi , XVI .

وقد كان جدوله الانتخابي ملئ بالوعود والإجراءات الثورية لصالح الناس إذا ما نجح فى دخول هذه الدورة واستمراره فى منصب النقيب [1].

الجدول الانتخابي لتيبريوس جراكوس فى ترشيحه لمنصب النقيب الدورة الثانية وقد حوي هذا الجدول النقاط التالية :

١- تقصير مدة الخدمة العسكرية .
٢- نقل حق الإستئناف من الدولة إلى الأفراد .
٣- السماح لرجال طبقة الفرسان بالإنضمام إلى محاكم الإبتزاز التي أنشئت عام ١٤٩ ق . م بمقتضي قانون كالبورنيوس لمحاكمة حكام الولايات من رجال السناتو والذين يتهمون بإبتزاز سكان الولايات والتي كانت تتكون عادة من أعضاء السناتو وحدهم .
٤- تعويض الحلفاء الإيطاليين عن الخسائر التى قد تلحق بهم عند تطبيق قانون الإصلاح الزراعي [2].

وقد سعي تيبريوس أن ينال شعبية عامة من خلال تلك القوانين وقد كان منح الشعب لنصوص هذه القوانين من خلال أحكام القضاء وكان مجلس القضاة فى ذلك الوقت مكون من الشيوخ والسناتو وكان يحاول لمدة طويلة أن يعطل من قوة مجلس الشيوخ من خلال بواعث الغضب وإثارة النزاع أكثر من حسابات العدل والصالح العام .

وبرغم أن هذه المطالب تأخذ شكل شعبى فى العرض إلا أنها ضرورة للإبقاء على الجمهورية [3].

**مصرع تيبريوس :**

بالرغم من محاولة تيبريوس ترشيح نفسه للمرة الثانية إلا أن هذا الأمر آثار عليه السناتو وزاد الأمر من ثورته إبلاغ قرار التعيين للمجلس القبلي المنعقد عن طريق فوليفوس فلاكوس ( Fulvius Flacchus ) ، وزاد من تعقيد الأمور صعوبة عندما علم

1) Jones (A.H.M.) Proceedings of Cambridge Philological Society 1960, P. 35 ff.
2) Plutarchus ., Loc. Cit.
3) Ibid.

المجتمعون بأن مجلس السناتو يعقد جلسة طارئة في معبد ربة الإيمان ( Fides ) [1] . حيث تناهي إلى أسماع أعضاء السناتو أنباء ما حدث فى جلسة جمعية القبائل وما أشيع كذبا عن تيبريوس . حمل عليه خصومه حملة شعواء واتهموه بأنه يطمع فى إقامة نفسه طاغية وطلبوا إلى القنصل سكايفولا – وهو الذي كان يرأس جلسة السناتو يومئذ أن ينقذ الدولة ويقضي على الطاغية [2] .

ولكن التزم سكايفولا جادة الصواب ورد على الطلب الذي وجه إليه بأنه لن يتخذ إجراء غير مشروع كما أنه لن يعترف بصلاحية أى إجراء باطل يتخذه الشعب [3] .

أعلن السناتو لنفسه حق إعلان حالة الطوارئ وإصدار ما يعرف بقرار السناتو النهائي ( Senatus Consultum Ultimum ) وهو الذي بمقتضاه كان القنصلان يخولان السلطة كاملة لإتخاذ أى إجراء للحفاظ على سلامة الدولة من أى مكروه ، دون أن يحق لأى مكان آخر وأى تريبون الإعتراض على ما يقرره القنصلان .

كما أنه لا يحق لأى مواطن استئناف أى حكم يصدره القنصلان عندئذ وعلى هذا كان موقف سكايفولا من إعادة ترشيح تيبريوس للتريبونية أمر غير مشروع وأن ما قامت به جمعية القبائل من إعادة انتخاب تريبونا كان يعد إجراءً باطلا وأن الحكومة لن تقره أو تعترف به .

غير أن رأى سكايفولا هو أنه ليس من الحكمة وقف عملية الإنتخاب بالقوة [4] .

---

١ ) معبد ربة الإيمان ، كان على مقربة من معبد يوبتير كابتولينوس ( Jupiter Capitolinus ) وهو الذي كانت جمعية القبائل تعقد جلساتها أمامه .

٢ ) إبراهيم نصحي . المرجع السابق . جـ٢ . ص ٣٦ .

٣ ) هذا يدحض الزعم بأن ( إحدى القواعد العامة فى الدستور الرومانى كانت تجيز استباحة دم من يسعي إلى تنصيب نفسه طاغية وإلا ما أدعي السناتو لنفسه حق إعلان حالة الطوارئ، وإصدار ما يعرف بقرار السناتو النهائي . ( Senatus Consltum Ultimum )

٤ ) إبراهيم نصحى . المرجع السابق . جـ٢ . ص ٣٦ .

ويحسب لسكايفولا عدم إجابة طلب السناتو بإعدام تيبريوس وإشتراكه فى هذه الجريمة البشعة .

ولعل السبب فى ذلك أن سكايفولا كان ينتمى بالمصاهرة إلى أسرة آل كلاوديوس لأنه كان رواقيا يؤمن بالإصلاح [1] .

ولقد تزعم القنصل ناسيكا ( Nasica ) مهمة القضاء على تيبريوس مع فريق متطوع من رجال السناتو والمتطرفين لتنفيذ الجريمة وجمعوا أتباعهم Clientest وعبيدهم واندفعوا إلى الفوروم الروماني وحاصروا المجتمعين ، وهرب نقباء العامة الآخرين خوفا على حياتهم ولما تعرض تيبريوس إلى عملية التطويق وتثبيت توجاتهم (أثواب رومانية فضفاضة) وكسر مقابض الرماح التي كان الموظفون يخفونها فى الزحام ولقد أخذ المهاجمين يألبوا أعضاء السناتو عليه وعلى رأسهم (ناسيكا) الذي طالب القنصل بأن يأتي لينقذ البلدة ويقضي على الطاغية ، وأجاب القنصل بطلف أنه لن يلجأ إلى العنف ولن يقتل أحد بدون محاكمة .

وقد ثار (ناسيكا) على القنصل وعلى القاضي وزعم أنه يخون الدولة ، بعدها ذهب ناسيكا إلى مبني السناتو وتبعه كل الشيوخ الذين دفعوا جانب من الواقفين فى طريقهم إلى تيبريوس وأتباعه ولم يقاومهم أحد ، وقد حمل الشيوخ المضارب والعصي التي أحضروها من المنازل ، وحمل بعض الشيوخ أجزاء وأرجل المقاعد التي كانت مبعثرة بسبب الحشد وتدافع الناس أثناء فرارهم وصاحوا ضد تيبريوس ، وفى نفس الوقت ضربوا بقوة

---

١ ) الرواقى : هو من يؤمن بالفلسفة الرواقية التي هي فلسفة إنسانية تنادي بالعدالة الإجتماعية والمساواة بين الطبقات وتحارب الاستغلال وتدعو إلى الاشتراكية والمؤاخاة وقد اشتقت هذ الفلسفة إسمها من الرواق (Stoa ) الشهير الذي كان موجودا بالقرب من السوق العامة (agora) فى أثينا حيث كان الفيلسوف الفينيقي زينون (٣٣٦ – ٢٦٣ ) ق . م . قد قدم من مدينة كيتون فى قبرص ليلقي محاضرات حول أصول هذه الفلسفة .

أميرة حلمي مطر . الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها . الناشر . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٩٨ . ص ٣٦٩ – ٣٨٥ .

عثمان أمين . الفلسفة الرواقية . الناشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧١ .

هؤلاء الذين كانوا يرتبوا لحمايته ، وقد ملئ المكان بالشغب والقتل ، وعند محاولة تيبريوس الهروب بنفسه، مسك أحدهم بثوبه ، لذلك فقد ترك توجته وفر في تونكه * ولكنه تعثر ووقع على الأرض مع بعض الأشخاص الذين كانوا مطرحين على الأرض أمامه .

وعند محاولته ليقف على قدميه فإنه تلقي أول ضربة – كما يعترف الجميع – من بوبيليوس ساتيريوس أحد زملائه الذي ضربه بالقوة على رأسه بأرجل مقعد ، وأن الضربة الثانية كانت من ليوسفيوس روفيوس الذي تفاخر وتباهي بها كالذي يتباهي بعمل نبيل ، أما عن الباقي فكانوا أكثر من ٣٠٠ ضربة قاتلة بالعصي والحجارة ولم تكن أي ضربة منهم بالسيف [١] .

وهكذا سقط تيبريوس قتيلا وثلاثمائة من أتباعه قتلي في معركة حامية الوطيس [٢] في نهاية عام ١٣٢ ق . م [٣] .

ومع أن منع دفن الموتي كان يعتبر رجسا فاحشا ، فإن المنتصرين انتظروا حتى الليل وألقوا بجثثهم في نهر التيبر الذي إحمرت مياهه من الدماء ولم ينصتوا لتوسلات

---

* ) التونك : رداء إغريقي أو روماني طويل يشد بحزام حول الخصر .

1 ) Plut . T. Gracchus , XIX.

2 ) Earl (D.C.) Latomus , 1960 , P. 657 .

٣ ) سيد الناصري ، المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

وطلب أخيه أن يأخذ جسد تيبريوس ويدفنه بحلول الليل وذلك لما كان يجيش فى نفوس هؤلاء الأغنياء من غضب من قانون تيبريوس الذي نزع ملكيتهم للأرض (١).

وفى الوقت الذي كانت تطفو فيه جثث القتلي فى التيبر كان بويليوس لايناس قنصل عام ١٣٢ ق . م يقيم محكمة طارئة لمحاكمة أتباع جراكوس حيث صدر الحكم بالإعدام على عدد كبير منهم ، ونفى الباقون وصودرت أملاكهم ، وقد نفوا بعضا من أصدقاء تيبريوس بدون محاكمة وتم القبض على آخرين وسجنوا حتى ماتوا وكان من بينهم " ديوفانيس" وهو الخطيب الشهير وقد مات أيضا أما عن كايوس فيلليوس فمن المؤكد أنه قد وضع فى قفص ووضعوا فيه أفاعي سامة وحيات لقتله (٢).

## موقف الشعب الروماني من قتلة تيبريوس وأتباعه :

لقد شعر الشعب الروماني بالأسي على موت (تيبريوس) وكانوا مترقبين الفرصة لكي ينتقموا من أعدائه ، لذلك تعرض ناسيكا للتهديد والمحاكمة وعلى هذا فإن مجلس الشيوخ – خوفا عليه ولتأمينه – عينه كاهنا أعظم وأرسله فى مهمة رسمية إلى برجامون وذلك بعد أن صوت أعضاء مجلس السناتو لإرساله إلى آسيا على الرغم لم يكن به حاجة للذهاب هناك ، ولم يكن يحاول الناس إخفاء غضبهم وسخطهم له بل وشجبه فى أى مكان موجود به بالصدفة وكانوا يسموه الرجل الملعون والطاغي الذي دنس بقتل شخص مقدس ، لهذا فقد ترك ناسيكا إيطاليا خلسة على الرغم من أنه كان مقيد هناك بأكثر الوظائف أهمية وقدسية لأنه كان عضو مجلس الكهنة الأعلى فى روما القديمة (٣).

---

1 ) Plut. T. Gracchus , XX.

2) I bid .

3 ) Plut., T. Gracchus . XXI .

وبذهابه لبرجامون بقي فيها شبه منفى حفاظا على حياته من غضب العامة إلى أن مات فى نهاية عام ١٣٢ ق . م [١] .

وهكذا ولأول مرة سفك الدم فى أول صراع أهلي روماني منذ طرد الملوك الأتروسكيين ، ومن سخرية القدر أن السفاحين كانوا من أنصار الدستور الذين وضعوا بهذه الفعلة سابقة خطيرة لم تحدث من قبل [٢] .

١ ) سيد الناصري . المرجع السابق . ص ٢١٩ .

2 ) App. B.C. I. 16 . 17 . Liv. , Epit ., 58 .
Plut ., T. Gracchus , XX .

## الخاتمـــة

لقد تمتع تيبريوس بصفات منها أنه كان رقيق ورزين وبسيط وواضح [١]. وتمتع كذلك فى أسلوب خطبه بأنه كان يخطب ووهو هادئ وفى مكانه لا يتحرك وكان حديثه مقبولا ومثير للشفقة لما رآه من ظلم واضطهاد للفقراء والعامة أما أسلوبه فى مواجهة العدو فقد تميز بالشجاعة ، وكان دقيقا فى توليه الوظائف الحكومية وتميز بعفة اليد [٢] . ولقد كانت هذه الصفات محل إعجاب من حوله حتى أن (أبيوس كلاوديوس ) وكان قنصلا ومسؤولا بل ورئيسا لمجلس الشيوخ الروماني عرض عليه الزواج من إبنته كلاوديا ، ووافق تيبريوس على هذا الزواج لأنه سوف يدعم موقفه السياسي بتلك المصاهرة والتي عقدها قبل تولية وظيفة نقيب العامة في عام ١٣٣ ق . م ، ولولا صفاته وميزاته الحسنة وسمعة عائلته ما كان لرجل مثل ( أبيوس كلاوديوس ) أن يتمني بل ويطلب من تيبريوس الزواج من ابنته [٣] .

لقد كانت شخصية تيبريوس جادة ، وكان صادق النية في الإصلاح ، ولم يكن يبتغ تعيين نفسه طاغية أو ملكا ولكن كانت نيته الحقيقية هي الإصلاح فقط .

لم توضح المصادر القديمة الدوافع التي حدت بتيبريوس لأن يسعي إلي الإصلاح ، وفي النهاية يحاول فرضه بالرغم من المعارضة ومن الواضح أن تلك المصادر كانت في الأصل ضد النظام الجراكي . ولذلك صورته تلك المصادر بالتحول إلي طاغية بدلا من أن تصوره محبا للغير ولخير الناس ، وحتي الذين كانوا يرون فيه مصلحا لا مثيل له لم يجمعوا علي فكرة واحدة فيما يخص دوافعه وأغراضه وكان التساؤل هل هو دهماوي يستغل الإستياء الاجتماعي لإكتساب النفوذ السياسي أم أنه شاب طموح يسعي إلي التقدم في وظيفته من خلال الإطار التقليدي للحزبية وما يتبعها من شقاق حزبي ؛ أم أن معلمه ديفونيس ( Diophanes ) والفيلسوف الكوماي بلوسيوس ( Blossius of

1 ) Cf., Plut ., T. Gracchus , II.
2 ) Cf., Plut ., T. Gracchus , III
3 ) Cf., Plut ., T. Gracchus , IV

Cumae ) قد غرسا فيه النظريات السياسية اليونانية والآراء الهللينية المتعلقة بالعدالة الاجتماعية ؛ أم أن اهتمامه الأكبر كان عودة الفلاحين البسطاء إلي الأرض لمصلحة الزراعة في إيطاليا ؛ أم تخليص روما من البطالة ؛ ام زيادة عدد الملاك من الفلاحين لإعدادهم لحاجة الجيش وأيا كان السبب فإنه من الواضح أنه كان منزعجا وقلقا فيما يخص الموقف الاقتصادي وكان يبحث عن حلا شافيا لبعض تلك المساوئ السائدة [1] .

ومع هذا واجه الكثير من الأمور التي لم يسبق أن حدثت فى الدستور الروماني ومن هذه السوابق :

(أ) إغفاله فيتو زميله .

(ب) عزله هذا الزميل كان ضربة قاصمة ليس لحصانة ترابنة العامة فحسب بل لحصانة مركز كل حاكم رومانى .

(ج) اتجاهه إلى التدخل فى الشئون المالية والخارجية بإسناد طلبه إلي جمعية القبائل للموافقة علي تخصص جزء من تركة أتاللوس ملك برجامة .

(د) أسند إلى جمعية القبائل إختصاصات لم يكن فى وسعها النهوض بها على نحو يكفل صوالح الدولة مع الحفاظ على النظام الجمهوري .

(هـ) ترشيح نفسه لإعادة توليه تربونية العامة فى السنة التالية مباشرة [2] ، وكان محظورا تولى الوظائف العامة سنتين متتاليتين وذلك طبقا لقانون صدر عام ١٨٠ ق.م ( Lex Villia Annalis ) كذلك هناك من يذكر أنه لا يطبق علي ترابنة

1) Cary (M) & Scullard (H.H.) Op.Cit., P. 230 .

٢ ) إبراهيم نصحي . المرجع السابق . جـ٢ . ص ٣٧ .

العامة وحق الترابنة في تولي التربونية عاما بعد عام على التوالى [1] . وقد أثار موقف تيبريوس هذا مناقشات دستورية وقانونية .

وبرغم أن هذه السوابق والإتجاهات كانت من وجهة النظر عملية ولكنها لم تكن كفيلة بحسن تسيير أمور الدولة ، والدليل على هذا أنه بسبب سوء تقديره للظروف الراهنة لعواقب ما أقدم عليه أفضت تصرفاته المنبثقة من رغبته الملحة فى الإصلاح إلى إشعال لهيب الثورة والتي كان من نتائجها أنها أتت على النظام الجمهوري الروماني [2] .

ولقد أساء تيبريوس التقدير عندما تجاهل حق السناتو في وقفته ضد حصوله علي التربونية للمرة الثانية وهذا التجاهل وعدم الإكتراث من قبل تيبريوس أثار معظم أعضاء السناتو مما دفع بعضهم إلي اللجوء إلي حرب أهلية أريقت فيها الدماء والتي كانت روما قد تخلصت منها ما يقرب من ٤٠٠ سنة ولكن تيبريوس كان متحفظا في ردود أفعاله مما أثار حفيظة معارضيه في ذلك الوقت إلي جانب أن تجاوزاته للأعراف والقانون تحولت ضده منذ أن قام بأول خطوة في الطريق المعاكس وأصبح لزاما عليه أن يوفر الحماية لنفسه وإن كان ما حدث له شئ لا يذكر إذا قورن بأمثلة القتل السياسي التي قام به سكيبيو ناسيكا ( Scipio Nasica ) [3] .

---

1 )C.A.H., IX, PP. 33 , 34 , 61 – 2 ; Jones (A.H.M) O.P.C.:T. PP.35ff.
Scullard , (H.H)The History of Roman , P. 389 , n-14, Astin , Scipio. Aemiliannus ; PP.35ff., Taylor (L.R.) Atheneum,1936 , PP. 56ff.

2 ) Smith (R.E.) The Failure of the Roman Republic , 1955 .
إبراهيم نصحي . المرجع السابق . نفسه .

3 ) Cary (M) & Scullard (H.H.) Op.Cit , P. 205 .

وبهذا بدأ العنف في الحياة السياسية مع البدء في مخالفة الدستور وكان معنى هذا قصور الدستور عن متطلبات الدولة ومسئولياتها [١].

حقا أنه كان مصلحا جادا وساعده وشبابه وتحمسه للإصلاح الذين دفعاه إلى تخطي نطاق الحكمة فى تصرفاته ، وإنه لم يعمد إلا إلى مخاطبة العقول واستثارة نفوس الجماهير على المظالم التي كانوا يشقون بها وتأييد المواطنين المحرومين من امتلاك الأرض ومحاولته استغلال أصواتهم لقهر المعارضة التي تزعمها السناتو والأشراف ، فى المقابل قد انتهز أعدائه وخصومه الفرصة لإطلاق الشائعات والأكاذيب محاولة لتقليل من شأن هذا المصلح ومما يسعي إليه من إصلاح ومن تغيير النظم والأوضاع القائمة بعد أن فقدت صلاحيتها لمواجهة تبعات روما ومشاكلها المتزايدة ، وتبعا لهذا فإنه كان أمرا محتوما ظهور حركة للإصلاح ووقوع صدام بين ضحايا المشاكل القائمة وعلي رأسهم دعاة الإصلاح وبين القابضين علي مقاليد الحكم المستفيدين من بقاء الأوضاع علي ما كانت عليه [٢]، وفى محاولة تشبث كل فريق من الفريقين برأيه لم يستطيعا تقريب وجهات النظر بينهما أو أن يبديا التسامح مع الفريق الآخر ، أو محاولة إسترضاء الفريق الآخر لتفادي الصدام الدموي الذي أتي على هذا النظام من نظم الحكم [٣].

وهكذا فإن أنصار الحزب الجراكي الذي كان ينادي بالعدالة بين طبقات المجتمع الروماني قد اعتبروا تيبريوس هو أول شهيد سفك دمائه هو ورفاقه من العامة في الحروب الأهلية الرومانية.

وهكذا رأينا من خلال تلك الدراسة محاولات مستميتة من تيبريوس وممن سبقوه من آل جراكوس ، حيث كان في هذه الأسرة العريقة أربعة مصلحين اجتماعيين حملوا الاسم الخالد جايوس سمبرونيوس جراكوس وقد حاولوا إصلاح الأحوال فى بلاد الرومان عن طريق إصدار قانون الإصلاح الزراعي الذي كان قويا فى نصوصه ولكنه لم

---

١ ) مصطفى العبادى . المرجع السابق . ص ٤١ .

2) Cary (M) & Scullard (H.H.) , Op. Cit., P. 205 .

3 ) Brunt (P.A.) J.R.S 1968 , PP. 229 ff .

Gray (E.W.) Classical . Review , 1969 , PP. 325 ff .

إبراهيم نصحي . المرجع السابق . جـ٢ . ص ٤٠ .

يجد حظه من التطبيق وكان سببا فى إثارة الثورة بسبب جمود فكر طبقة الأشراف التي لا تريد التنازل عن مكانتها .

وقد حاول أخيه جايوس من بعده إصدار هذا القانون الخاص بالاصلاح الزراعى بل وأصدر عددا من القوانين والتشريعات الاقتصادية والاجتماعية ، ولكنه تلقى نفس مصير أخيه برغم أن حظه في تنفيذ وتطبيق قوانينه وتشريعاته كان أكثر سخاءً من حظ أخيه تيبريوس الذي كان يحق شهيد العدالة الإجتماعية الرومانية .

## المصادر والمراجع

### أولا - المصادر :

1- O.G.I.S. Dittenberger , Orientgs Graeci Inscriptions Selections , Syll. 694

2- Appian's Roman History with an English translation by Horace White ., M.A, L.L.D. 4 Vols. London. Harvard University .

3- Cic., de lege . agr.

4- Livy , With an English translation by Evan T.S age , P.H.D.In 13 volumes , London . Harvard University .

5- Pultarchus . Lives the Loeb Classical library , Founded James Loeb and Others , London . Harvard University .

### ثانيا – المـراجـع :

(أ) المراجع الأجنبية.

- Adcock (F.E) Consular Tirbunes and Their Successors (J.R.S.)47 (1957) .

- Astin (A.E.)Scipio Aemilianus ,London . 1967 .

- Badian (E) Foreign Clientelae , 1958 .

- Brunt (P.A.) J.R.S.1968 .

- Cary (M) & Scullard (H.H.) A History of Rome .Published by Macmillan Education LTD 3rd edition . 1987 .

- Earl ( D.C. ) Latomus , (1960) .

- Grant (M) The world of Rome Published in Phoenix Press , 3rd . edition London . 2000 .

- Gray (E.W.) Classical , Review , 1969 .

- Jones (A.H.M.) Proceedings of Cambridge Philological Society , 1960 .

- Lewis- Reinhold ,Roman Civilization (1951) .

- Scullard (H.H.) From the Gracchi To Nero ,3rd , London 1970 .

- Smith (R.E.) The Failure of the Roman Republic . London . 1955 .

- Taylor ( L.R.) Atheneuim , 1936 .

(ب) القواميس :

(1) Hammond ( N.G.L.) & Scullard (H.H.) Dictionary Oxford Classical Dictionary (O.C.D.) Printed in Oxford University Press , London , 1992 .

(ج) الدوريـــات والمجلات :

(1) Cambridge Ancient History . (C.A.H.) , (1930)

(2) Classical . Review (1969) .

(3) Journal of Roman Studies (J.R.S.) (1957)&(1969)

(د) المراجع العربية :

(١) إبراهيم نصحى . تاريخ الرومان من أقدم العصورحتى عام ١٣٣ ق . م جزءان . الطبعة الثانية . الناشر . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٩٨ .

(٢) أميرة حلمي مطر . الفلسفة اليونانية . تاريخها ومشكلاتها . الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٩٨ .

(٣) سيد أحمد على الناصرى . تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية وحتى سقوط الجمهورية . الناشر . مكتبة النهضة العربية.القاهرة . طبعة ١٩٧٦ م .

(٤) عبداللطيف أحمد على . التاريخ الروماني (عصر الثورة ) من تيبريوس جراكوس إلى أكتافيانوس أغسطس . طبعة منقحة . الناشر دار النهضة العربية . القاهرة ١٩٨٨ .

(٥) عثمان أمين . الفلسفة الرواقية.الناشر مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٧١.

(٦) مصطفي العبادي : الإمبراطورية الرومانية ( النظام الإمبراطوري و مصر الرومانية ) الناشر . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية .١٩٩٩

## A Summary of The Research

During the 2nd half of the 2nd C.B.C. Rome had witnessed a good number of social reformers . The Gracchi was one of the outstanding families that sought democracy and justice for the welfare of the Roman people . The research concentrates on Tiberius Gracchus ' attempts to achieve that .

Tiberius started his political career as a quaestor . He was clearly disturbed by the bad conditions of the poor peasants inside and outside Rome . Thus he applied for the tribunate so as to be able to carry out the bill of the agrarian law which aimed at the redistribution of the land is small holdings to poor citizens in Rome and its principalities .

To achieve his aim , Tiberius defied the senate's traditional control of foreign affairs and finance . He sought re-election to the tribunate in order to see his programme through . Historians' attitudes concerning what Tiberius had done were different . Some are for, others against . Tiberius henceforth lived under a threat of reprisals by the nobility . He was killed at the hands of Nasica to be the first martyer of the Roman justice in the Republican era . The research ended by mentioning historians viewpoints and analysis of Tiberius' character .

ملخص البحث

لقد شهدت روما في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد (ق.م) عدداً من المصلحين الاجتماعيين وكان آل جراكوس من أهم العائلات الساعية إلي الديمقراطية ويعنينا هنا تيبريوس جراكوس ومحاولاته لتحقيق ذلك الغرض .

بدأ تيبريوس حياته السياسية بوظيفة الكوايسترية ، ولهول ما رأي من سوء أحوال الفقراء والمعدمين داخل وخارج روما فإنه رشح نفسه لمنصب التريبون (نقيب العامة) وذلك ليساعده هذا المنصب علي استصدار قانونه الخاص بالإصلاح الزراعي الذي يهدف إلي إعادة توزيع الثروات بين الأشراف والعامة في روما وولاياتها .

ولكي يصل لإصدار قانونه فإنه تحدي الدستور والسناتو الأمر الذي اختلف عليه المؤرخون بين مؤيد ومعارض ليس لنصوص القانون وإنما لإسلوب تنفيذه وتحدي تيبريوس للعرف والقواعد الرومانية (الدستور) مما أثار عليه الأشراف فما كان منهم إلا أن اغتالوه علي يد كبيرهم ناسيكا وكان تيبريوس بذلك أول شهيد للعدالة الإجتماعية الرومانية في العصر الجمهوري .

وختم البحث بتحليل وتقييم لشخصية تيبريوس من واقع ما ذكره المؤرخين.